الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 13) – 1992 – 1413

ارشيو نشريات
... تخصصي دارالحا...
٢١٤٢٨

الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمّد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

الحسين السياسي

صدر الدين شرف الدين

لم تكن السياسة في بدء الاسلام منفصلة عن الدين ، بل لم يكن للسياسة في الاسلام مفهوم كمفهومها المعروف قبل الاسلام وبعد العهد الراشد . وإنما كانت السياسة سياسة الزعامة الاسلامية التي أنشأها محمد(ص) انشاءاً ، وشد بها أيدي صحابته المتخيرة شداً كان الدليل على أن الالتواء والتحرف ليسا طبيعة في ذات السياسة . وإنما هما من ارتجال الساسة الذين يعدلون الى الالتواء والتحرف عن الاستقامة والمواجهة بدواع من ضعفهم وضعف حقائقهم عن بلوغ ما يبلغه الساسة الصادقون المستقيمون المواجهون .

وإنما يجي الالتواء والتحرف عند هؤلاء الساسة الزائفين قدرة مصطنعة يتوسلون بها الى سد عجزهم وستر ضعفهم ، ويقيمون منها جسراً للعبور الى غاياتهم وأغراضهم الذاتية المقصودة هي بذاتها قبل أن يقصدون بها شيئاً آخر من التربية التوجيه ، أو الاصلاح الاجتماعي ، أو إقامة الموازين العادلة .

وقد يكون الوزر مقتسماً بين الساسة الزائفين ، وبين المسوسين السذج المنقادين ، قد يكون ذلك ، أو هو كائن من غير شك ، لأن السياسة كائن من هذه الكائنات المترابطة التي لا ينفصل بعضها عن بعض ولا يستقل شيء منها بالوجود دون شيء آخر ، وهي مع ذلك شركة بين طرفين يقف الساسة منها في جانب ويقف المسوسون منها في الجانب الآخر كلعبة جر الحبل من غير فرق ، نعم لقد نرفض ان تكون القوة والعيالة والنشاط في جانب السياسة ، لأن المعروف في هؤلاء انهم القادة الذين تصدر منهم الأوامر والايعازات ولكن المسوس في انقياده واسلاسه يشارك السائس في مثوبات ايعازاته وأوزارها معاً ، ويسنده في الحالين مهما كانت عوامل طاعته واتصالاته في أوامر السائسين .

وفي الحق ان القابليات والملكات والغرائز لو لم تكن مستعدة للانقياد والطاعة لتمردت - إذن - وفشل الذين يسددون من الجماعات سهاماً يرمون بها عن أيدي الشهوات أو عن أيدي المصالح على السواء .

وفي حوادث التاريخ قبل النظريات العلمية والاستنتاج العقلي شواهد لا مجال فيها للتردد أو الشك ، فالتطاحن بين سياسة الصدق والمواجهة وبين سياسة النفاق والتحرف يدلنا على أمرين متلازمين مترتبين :

أولهما : ان الانسان غر شهوان يتملقه النفاق وتغريه الخديعة وان قام في قرارة نفسه ان وسائل هذا النفاق وأدوات هذا الاغراء طلاء وتمويه ، ذلك لأنه شهوان تخدعه الشهوة في واقع الأمر لا هذه الوسائل المطلية المموهة .

ومن هنا نجحت في أكثر الأدوار سياط الظلمة وأموالهم وعلت التيارات المادية هذا العلو المبين .

وثانيهما : ان المسوس من شعوب الساسة هم أوزار السياسة وأعباؤها الثقال ، ينحطون في مجالاتها الوعرة صخوراً وأشواكاً حيناً ، وسيوفاً ونبالاً اخرى ، وهموماً وأكداراً ثالثة .

ومن هنا كانوا شركاء الساسة أحبوا أم كرهوا ، أطاعوا عن طبيعة واقتناع أم عن اغراء وفتنة ، هم شركاء في كل حال وقد دلتنا الأحداث الجسام ـ أحداث المبادىء الفواصل في تاريخ الانسان ـ على ان انطلاق العصور في غرض من أغراض الحياة لم يجرف العقائد الصلاب ، ولم يطو الرجال الشداد ، بل نتأ في منحدرات هذه العصور رجال شقوا السيل شقاً وقالوا كلمتهم فإذا السيل ينور ، وإذا هم بعد السيل ماثلون ، كما تمثل القمم الشوامخ رسوخاً في المكان وخلوداً في الزمان فكانوا بهذا حجة باقية على معاصريهم ، وكان تمردهم دليلاً على ان انسانيتهم الزاهدة فيما أطمع غيرهم ، المطمئنة الى ما أخاف أمثالهم فوق انسانية اولئك البشر الطامع بالمتاع ، أو الخائف بالأراجيف .

وقد كان لهذه الدروس النوادر أثرها في تثبيت الأقدام ، وخلق البطولات في تاريخ العظائم ، وسجلات المبادىء والتطورات الاصلاحية الكبرى .

وبعد أفأستطيع أن أدخل الحسين في سجل السياسة من غير حرج ولا ضير ؟ وهل ينكر عليّ منكر إذا أضفت الى سيد الشهداء هذا اللون من ألوان الحياة ؟

أما أنا فلا أتحرج ولا أحب لأحد أن يتحرج ما دام محمد ـ وهو قدوة الحسين ـ أعظم من ساس الحياة ، وأنشأها بسياسته حياة لو بقيت كما وضعتها يده لكانت جديرة أن تمتعنا بالأمن ، وتترفنا بالخيرات الوارفة من العيش الرغيد .

لا حرج ولا ضير في أن نعد الحسين إماماً من أئمة السياسة كما هو إمام من أئمة الدين . لا حرج ولا ضير في ذلك ما دامت سياسة الصدق : الاستقامة هي سياسة الأفلين من عباقرة الانسان ، ولا حرج في ذلك ولا ضير ما دامت السياسة متصلة بالدين صادرة عنه ، ولا حرج في ذلك ولا ضير ما دامت هذه السياسة التي يقع اختيارها على الحسين هي سياسة محمد في دينه الناشيء ورسالته العلوية ، ومن يكون سياسياً في هذه الدولة المحمدية المثلى ان لم يكنه الحسين سداداً في الرأي ، وقوة في البصيرة ، ونفاذاً الى الدخائل ، ووصولاً الى أعماق الأمور .

لقد كان الحسين سياسياً ، بل كان لا بد من سياسته في مثل تلك الفترة التي اختلفت فيها مهاب الرياح ، واهتاجت خلالها أعاصير السياسة الزائفة ، فاعصوصب الشر ، وأوكب الطامعون بمنبر الاسلام يهدفون اليه من كل جانب في غير كفاية ولا سابقة ، ولا سبب قريب أو بعيد ، وفي مثل هذه الحال كان على رجل السياسة الصادقة ان يضع منكبه بين هذه المناكب المتدافعة ، ويعلن عن موقفه هذا النحو من الاعلان الذي يضمن النجاح في كلتا الحالين على نحو ما فعل الحسين(ع) من غير زيادة ولا نقصان .

وأراني ـ وقد أنتهيت الى هذه الخطوة ـ ملزماً بايضاح معنيين يلتبس معناهما عند فئتين من الناس ، وربما نشيت من هذا الالتباس بامتعاض هاتين الفئتين معاً لأن كلاً من هاتين الطبقتين تنظر الى الحسين بعين لا تحاول أن تراه بغيرها ،

والحسين بطل لا تسمو اليه عين من حيث سمت إلا عادت ممتلئة بالجمال مبهورة بالنور .

أما أول المعنيين الذين أعنيهما فمعنى السياسة . وقد قلت ان السياسة في زمن البعثة وفي الفترة الاولى بعد النبي كانت ذات معنى لا يتصل بالمعنى الذي نفهمه اليوم أو الذي كانت تفهمه الفلسفة الميكافيلية أو ما يوافقها من عمليات الانحياز والخداع والكذب والحيلة ، وإنما كانت السياسة التي ثقفها الحسين سياسة الصدق ، وسياسة رجل السلطان والاصلاح في آن واحد ، وأما ثاني المعنيين فمعنى الدين .

وأحب قبل أن أقربه وأجلوه ان نوقن بأن الدين سياسة بين السياسات ، وبأن سياسة الدين هي السياسة الراجحة في موازين الضمير والمنطق والأريحية والمثالية الانسانية .

ثم أحب أن أقول : ان الحسين إنما سمى لأنه رجل دين قبل أن يسمو بشيء آخر دون ذلك ، فإذا لمع من اسم الحسين نور وعبقرية من عبقرياته الرفيعة فإنما هو وميض من هذه الشرارة الدينية التي تتلخص بها جوامع عبقرياته .

والاسلام هذا الدين الذي قتل في سبيله الحسين أهل لأن تذهب فيه مثل هذه الأضحية العظيمة الغالية ، لأنه دين بنظمه وضماناته أسمى مما تتداعى اليه هذه النظم والضمانات المستحدثة التي تعد وتخلف ، وتقول وتكذب ، وتجتمع وتتفرق على منافعها الخاصة ومآربها الشخصية .

وفي الاسلام أصول هذه النظريات والمقررات التي يتداعى اليها أقطاب الأرض لينقذوا بكؤوسها العالم من هذه الحمى المستعرة الهاذية التي تغلبهم أعراضها كلما تقدموا اليها بعلاج يظنون انه العلاج .

والدين ـ بعدئذ ـ لا يدل على رجعية ولا يمنع من تقدم ولا يحجر على فكر أو عقل أو حرية . بل الدين تقدم وارتقاء وتحرر وانعتاق ، والاسلام من الأديان بصورة خاصة هو ذلك بعينه ، ولكن شوهة في بعض المنتسبين اليه لوت حرف الدين في بعض الأذهان في غير محاكمة ولا تثبت ولا رجوع الى مصادر هذا الدين المترعة الريا بما تشاء النفس من طمأنينة واستقرار ، ولو أعادوا النظر لرأوه في واقعه ، وكما أراده النبي منهجاً ألحب مناهج الحياة وأجداها الى ما نشاء من علم ومعرفة ، ومن تهذيب وتربية ، ومن طمأنينة ودعة ، ومن ايثار وحب ، ومن تعاون وبر ، ومن عدالة ومساواة ، ومن كل مطمح يرجوه طالب الحق ، وطالب الخير ، وطالب الاصلاح .

هكذا كان وهكذا سيظل دستوراً مادياً روحياً بهذا المزاج الرفيع لا ينفصل عن سياسته ولا تنفصل عنه سياسته بل تخرج من أعماقه صريحة صحيحة ، صارمة حازمة .

اما ان الأحداث والمطامع حرفت السياسة وجعلت لها منطقاً دنيوياً أخضع الدين للاهواء والغايات فذلك خروج عنه ، وإباء وتمرد كادا يعكسان آيته ويردانه الى العصبيات الجاهلية ، والشعائر القبلية ، أو يجاوزانه ـ حين يرتقيان بالملك ـ الى شكل من أشكال الحكم القيصري ، أو لون من ألوان الملك الكسروي .

وقد كان الحسين في تلك الفترة بطل هذا الدين ورافع لواء هذه السياسة فلو ذهبت تتقصى الأرض كلها لم تجد غيره سيداً للعرب يحرص على هذا الدستور الذي أخذ الدهر من جوانبه فكاد ان يتصدع ، وعلى فوز هذه السياسة التي نالت منها الشبهات فكادت ان تضمحل .

وأن لسياسي ألمعي من ساسة الصدق القلائل أن يبلغ من سياسته ما بلغ الحسين السياسي من ترتيبه الأحداث وهي تنشأ في أرحام الغيب كأنه يضعها بيده .

ما كان عصر الحسين خلواً من الخبراء بل كان عصراً محتشداً بالدهاة ورجال الفكر والتجربة ، وكانت أحداث الدولة الطالعة بأمنيتها الكبرى تصنع من القادة ما أرهب العالم ورماها بالخوف والخشية من هذه الأمة التي أذلت كسرى وقيصر ، وعصفت بدول حبك قواها التاريخ ، فهل كان اولئك الدهاة والمفكرون كلهم البأ على الحسين لا يمدونه برأي فيما يقدم عليه في هذه المغامرة الفريدة في تاريخ الحروب والخصومات ؟

لا ، بل الذي علمنا من سيرة الحسين وتاريخ هذه الفترة ان نفراً غير قليل من ذوي الرأي والأمانة ، والاحتياط لسلامة السياسة العليا شاركوا الحسين وبادلوه الرأي وأشاروا عليه أن يبقى في الحجاز تارة ، وان يذهب الى اليمن اخرى ، ولئن أشاروا عليه بهذا او بذاك وترددوا في المكان الصالح للمناهضة فإنهم أجمعوا على أن الكوفة بلد غادر خوّان رغم هذه الأكداس من المواعيد .

ترى أكان هؤلاء متهمين بالنصيحة ؟ أم كانوا قائلي الرأي ؟ أم كان الحسين عليه السلام ساذجاً لا يقيم وزناً لهذه الآراء المؤيدة بالمرجحات الملحوظة ؟ أم ان الفكرة كانت متركزة في نفسه تركزاً لا يقبل العدول عنها الى ما يريده المشيرون .

لا لم يكن شيء من هذا وإنما كانت خطته . خطة السياسي الذي يسمو عن الآراء ويتقدم في الحوادث ؛ ويقتحم المستقبل فيرى الى النتائج في سجلها المقدر المكتوب ولم تكن الأدلة الحسية كافية لاقناع هؤلاء المشيرين بأنه على صواب وانهم على خطأ لذلك كان يجيب فيجمل الجواب ، ويلاحظ فيجمل الملاحظة ، ويتكل في بيان أدلته على الحوادث التي عهدها واستعجلها بمعرفته للعواقب المحتومة المبنية على مقدماتها الصحيحة فإذا سأله ابن ابيه محمد ـ وقد طلب اليه ان يختار اليمن ـ ألم تعدني النظر فيما سألتك ؟ قال : بلى ، فيقول محمد : فما حداك على الخروج عاجلاً ؟ فيقول : قد شاء الله ان يراني قتيلاً ، فيقول محمد : فما معنى حملك هذه النسوة معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال ؟ فيقول : قد شاء الله أن يراهن سبايا .

وما نرى في هذا الجواب غير ذلك إلا جمال الجميل من سياسته المقدرة المدبرة التي حاكمت الفئة السائدة يومئذ فلم تجد إلا أن يرى شهيداً وترى نساؤه سبايا وذلك هو العلاج الذي لا معدى عنه لمبتغي الاصلاح ؛ ورائدي الخير لأمة تكاد تنفصل عن عهد الرسالة على قربها منه واتصالها به .

وله فيما يتصل بذلك كلمة أرسلها الى بني هاشم يقول فيها : (أما بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح) .

أي فتح هذا الذي يعدهم به بعد ان يحكم على الملتحقين به بالموت ؟

انه فتح الشهادة التي نصرت الحسين بعد الموت فرفعت الغشاوة عن الحكم الأموي ثم نسفته نسفاً ، وأعلنت عن الحق الذي قضى الحسين في سبيله فعلت كلمة الاسلام واستقرت قواعده العالية .

على ان الحسين حين كان يجمل كلامه أو يختصر أجوبته وهو في سبيل هذه الشهادة كان يعلن انه مقتول وانه خارج ليقتل وبهذا كان

يجيب الساسة والمفكرين من أهل المشورة قبل أن يشيروا عليه بما يحفظ مهجته أو يفضي به الى السلامة ، لأن سياسة الصدق التي كان بطلها الأوحد كانت تفرض عليه الشهادة وما هو محتاج الى غير ذلك لأنه لم يكن يطلب زعامة لا ينكرها عليه أحد ، ولم يكن يطلب ما لا كان يبذله للحفاة والمحتاجين ، ولم يكن يطلب ملكاً دنيوياً هو غني عنه بما انقاد اليه من هذه الزعامة العربية الاسلامية المطلقة ، ولكنه كان يطلب وكانت تطلب له سياسة الصدق شيئاً واحداً هو أن يموت .

ولم يكن يطلب وتطلب له سياسة الصدق الموت إلا لأنه الحياة ، حياة هذا الدين العظيم ذلك هو الحسين السياسي الذي أتاح للدنيا ان تعرف الاسلام وتعظمه ، وذلك هو الحسين السياسي الذي وقف للسيل في منحدره المندفع فرده قادراً قوياً غير مستضعف ولا واهن .

سلام الله عليك أبا عبد الله فهب لنا من روحك هذا العظيم شجاعة تتبختر بنا على مهاد التضحية والايثار ، ومضاء يحملنا على أجنحة الايمان والاعتداد فنحن من حيواتنا الأدبية والاجتماعية والسياسية في مهاب الريح بل الدنيا كلها تستقبل اليوم ما كنت تستقبله من يزيد وبني سمية والزرقاء .

فتنة وغروراً ، وتكالب وما شيء غير المنفعة الخاصة يستدنيه أفراد هذا الزمان وجماعاته وشعوبه وأقطابه ، فليعد روحك هذا العظيم مرة اخرى لنحيا به من جديد .

الحسين المثل الأعلى للاستشهاد

الدكتور عمر فروخ

لم يعرف التاريخ مأساة شغلت الانسانية كمأساة الحسين بن علي (ع) وعهد الانسانية بالمآسي انها نوع من المصائب التي تظهر فجأة عظيمة فادحة ثم تتضاءل ويخف أثرها في كتب التواريخ : تلك هي بلا ريب المآسي الشخصية الفردية التي تنطوي في أول امرها الا على اشفاق من نزلت بهم المصيبة وإلا على عاطفة عارضة في من اتفق له ان يشهدها ، اما مأساة كربلاء فكانت من نوع آخر ، الاستشهاد في سبيل مبدأ انساني قديم ولكن فكرة تلك المأساة لم تزل بل لقد قوي اثرها واتسع صداها والمسلمون لن ينسوا الحسين بن علي بن ابي طالب ذلك الشهيد الذي أصبح المثل الاعلى للاستشهاد في سبيل الدفاع عن المبدأ الحق وكان القدوة الصحيحة لطالبي المثل العليا .

إن شجاعة الحسين بن علي يجب ان تكون حية في قلوبنا حتى نرهب به المعتدي ونرد بها الظالمين . إننا لم ننصف الحسين (ع) مهما عظمت ذكرياتنا ومهما تنوعت تلك الذكريات او تعددت اذا كنا نحيي ذكراه في كل عام بافواهنا وجفوننا فقط ثم لانجعل تلك الذكرى حية دائمة في قلوبنا وقوة مرهبة في ايدينا .

إن علينا ان نقتدي بسيدنا الحسين ونسير على ضوء منهاجه اللاحب ونهتدي بهديه والسلام عليه .